

صحراء الغابرين

طارق فراج

www.hotamr.com

صحراء العابرين

طارق فراڭ

" .. ها نحن ذا، حيث بدأنا وكأن لم نخط خطوة واحدة إلى الأمام... القيود في
الأرجل والسلاسل في الشفاه... أقصد الحرية التي حلمنا بها، (نحن الشعراء)
لم تتجاوز طفولتها المضحكة. "

محمد الفيتوري

تفتح الأبواب

-1

كثيرة هي السنوات
التي قضيتها على دروب الصحراء
جينة وذهابا..
كل الصباحات التي مرت من هنا أعرفها،
كل الطيور العائدة إلى أعشاشها في المساء
حطت أولا على كتفي...،
اتركوني هنا
أفتح قلبي كما أشاء ..

هنا السماء صافية كوجه نبي
لا ضجيج يغلف ليل البائسين،
ولا سهرات بالفنادق الكبيرة،
ولا أصدقاء تلهيهم الأيام عني

-2

طفلتي تعلمت المشي والحلم
في يوم واحد..
تعد الأشجار على أصابعها
والطيور إذ تمر،
تبنى قبابا بيضاء في السحاب،
وتخط في الرمال أحلاما خضراء ،
وتبكي كلما هبت الريح
فضيقت القباب
ومسحت الأحلام.

-3

يهبط المساء كزائرٍ غريب

لا يملك إلا ابتسامته
فتأوي الأحلام إلى أعشاشها،
وتختبئ الأغنيات بين ثنايا العشب
ألم الأغنيات التي رويتها من دمي وأعود
الأغنيات التي كبرت كشجرة وحيدة
عرّشت على دروب الصحراء..
ثغاء الماعز

يذكرني بمرارة في الحلق
كنت قد نسيتهما ،
وذكريات هزيلة تموء في الضلوع

-4-

الأحلام سفينة ضخمة
ترسو على شاطئ الأيام
ولا تقلع أبدا.

-5-

كثيرة هي الدروب
التي انزلت من تحت أقدامنا
وتركتنا للفراغ
فتحنا صدورنا للريح وقلنا لا بأس
طالما هناك سقف
يحرس الأيام القادمة.

-6-

الأمل يظل أملا
حتى لو صار شجرة
تشتبك جذورها الواهنة
مع حافة الهاوية.

-7-

في كل صباح
أفرد ذراعِي لأقصى ما أستطيع
منتظرا أن تثبت لي أجنحة.

-8

هديل الحمام في عشه الدفيء
يجر أمام ناظري
شريط الذكريات .. ،
وحده القلب يبكي بلا دموع.

-9

أية حيرة تلك
في ليل شفيف صامت
مرصع بالنجوم
بينما الروح حبلَى بالسؤالات !!

-10

بدلا من صنع أسلحة للخراب
لم لا يهتم البشر
بصنع مجارير للهموم
أو آلات ذكية
لتنقية الصدور من الغدر والزيف ،
لتقليم أظافر القبح والنفاق،
لردم الدسائس،
لتطهير الهواء من التلصص
،....

خارت قواي أيها العالم
وتفتقت براعم شجرتي
عن ورود سوداء.

-11

صوت الحادي يملأ الفراغ
فتسيل أودية من حنين
قطعت القافلة شوطا مجهدا للأمام
وقلوب الرجال ترنو للخلف
نحو نقطة الابتداء .

-12

رحماك أيتها الوحدة
ما هذه القسوة التي تعامليني بها
تضربين حولي جدارا شاهقا
من الفراغ !!

-13

الظلمة لا عيون لها..
لها قلب
يحمل في أعماقه
حقلا واسعا من الضياء .

-14

لن أخفي عليك يا أخي
لقد نجوت بمعجزة
بالأمس فقط
اصطدم قلبي بأهة واهنة لعجوز
آهة قذفتها الريح صدفه باتجاهي.

-15

من أعماق السحاب
نظر الماء في قلق للأسفل
وحين رأى اتساع الشقوق في الصحراء
تملكه الخوف
وفي الأسفل

تطلعت الصحراء للسحاب،
تقافزت في فرح طفولي ،
ابتسمت ..

فزادت شقوقها اتساعا !!

-16

كلما تحدرت دمعة
من عين طفل
انغrustت راية سوداء جديدة
في قلب العالم .

-17

الصحراء ليس لها جدران
حررة كالطير،
لانهاية كالروح،
دروبها مفتوحة أبدا
بلا إشارات مرور ..
الصحراء امرأة ولود
تنجب تربتها كل صباح
ألف سؤال.

-18

رغم أنه كان يحترق
إلا أنه لم يصرخ..
تلك كانت المرة الأولى
التي تخترقه فيها نظرة صافية
بلون المطر.

-19

صوتك ذاك
المسكون بالعبير

واحة خضراء عامرة بالنخيل،

صوتك ذاك

عش تأوي إليه الطيور في المساء ..

صوتك الذي غاب

يا أمي

-20-

كلما أشرقت شمس

أستند إلى جذع نخلتي

التي تحرس البيت ،

أحتسي شايا مرا ،

أنظر في عيني طفلتي

التي تجلس قبالي

تنظر لي .. وتبتسم

وخلفها الصحراء

شاسعة بلا حدود.

-21-

لم يكثر لي

رغم أنني حذرتة

دخل القلب دون أن يطرق الباب

أغلق النوافذ

وأرخی ستانره السوداء

انتزع صورتها من الإطار

ووضع صورته ثم أطفأ المصباح

...

أية جسارة تلك التي تمتلكها

أيها الحزن !!

-22-

كان عليّ أن أخرج
من ذلك الباب نفسه
الذي دخلت منه ذات يوم
أذكر أنني حين دخلت
لم أجد إلا الفراغ
وحين استدرت راجعا
لم أجد الباب !!

-23

استهلكتني السنون
وخذلتني ذراعاي..
احفر لي قبرا
يا حفّار القبور،
اجعله عميقا غائرا
شبيها بجرح الوطن،
بعيدا عن أعين الناس
لا يابه بدموع الآخرين
كعيني حبيبي
احفر لي قبرا يا حفّار القبور
وحين تنتهي
اغرس لي شجرة ورد
قرب شاهدي .

-24

كلما أغمض عيني
تنفتح الأبواب .

ألم خفيف

1- الحزن :

(أ)

يبدو أنه وجد ملاذا طريا
في أعماقي
فلجأ إليه
متوسدا ذراعه
وكلما أفاق من غفوة
أتخبط في الحوائط كالمجنون
أتجول في محيط الحجره
ولا أشعر بالمسامير
التي تنغرس في أقدامي
ثمة دموع ساخنة تسيل
فأشم رائحة الطين في أنفي
ثمة دموع تسيل داخلي
فتروي جذورا ذابله
لعلامات استفهام كثيرة
علامات استفهام أورقت
ولم تثمر يوما..
ظمأى هي السؤالات في الأعماق
وليس أمامها
سوى نبع من سراب .

(ب)

نظر الحزن إلي
ضحك حتى استلقى على ظهره
تفقدت ملابسي ، ملامحي ،
فتشت في أعضاء جسدي
لم أجد ما يدعو للضحك
نظرت مليا في المرآة
عجبا !!
ثمة قبلة عالقة بشفتي
صحت في فزع :
تلك القبلة ليست لي
ترى من أين أتت
وأنا ما قبلت امرأة منذ سنوات !؟

2- الخبية:

قضيت وطرا من العمر

في معالجة الخيبات
التي طوقت رقبتى بالسلاسل،
في محاولة انتزاع قدمي
من مستنقعات الانتظار المرير

،...

من أين لي ببلطة
أجتث بها شجرة اللحم
التي تناولت داخلي
وعكرت صفو ركودي
وخنوعي في مواجهة الأيام
من أين لي بشفرة حادة
أقطع بها أصابعي
التي أدمنت الحبر والورق؟؟
إيه أيتها الصحراء
لم تتركي لي سوى الرمل والدموع .

3- الشاعر:

في واحتك النائية
أنت تحتاج فعلا إلى تمشية كهذه
في الثلث الأخير من الليل
تمشي في تودة
تترك آثار خطواتك على تراب شوارعها
غير عابئ بالبرد
ومبتهجا بقطرات المطر
التي تسقط على استحياء
تعرف أنه لن يقابلك في تلك الشوارع النائمة
سوى ذلك الحميم
تشعر أخيرا
أن العالم أصبح في قبضتك
ستتقافز قليلا
وربما تلقي التحية على الكلاب
المتكومة لصق الجدار
وحدك في براح هذا الليل العميق
تدندن أغنية قديمة
لكن
لماذا يبدو صوتك
ضائعا وحزينا
أيها الشاعر؟؟

4- يوم آخر:

أقبل ظاهر يدي وباطنها
بعد أن أضع فتات الأمنيات
بجانب الجدار
قررت منذ هذه اللحظة
- وربما أستطيع - ألا ألتفت..
إن نظرة واحدة للأمام
خير من نظرات عديدة للخلف
فقط أمهلني يوما آخر
ألون فيه ابتساماتي الباهتة
أبعثر بعضها على المارة
وأعلق بعضها كالرايات
على أعمدة الشوارع
أمهلني يوما آخر
ألملم فيه أحزاني
أضعها في صرة
وأعلقها كتميمة على صفصافة شارعنا
وعندما تهزها الريح
ستصدر صوتا خافتا كالأنين
يهرع الناس إليها
يضيئون الشموع
ويضعون النذور
بعد أن يهمسون بأمنياتهم
التي لن تتحقق بالطبع

5- آفة :

في ضحي أحد الأيام
أمشي كأنما قوة خفية تسير بي
نحو نهر الشارع
أجلس القرفصاء
أنزع عني قميصي
وبشفرة حادة
أحاول الوصول إلى جذورها
التي ضربت في الأعماق
ثمة ألم خفيف في الصدر
ودماء غزيرة تسيل
ها قد فعلتها أخيرا
الآن أوصل الطريق ثانية
بثبات وطمأنينة
بعد أن ترددت لسنوات..
دمي يسيل في الشارع

وأنا أتبعه

6- وطن :

(أ)

سنوات من العمر أهدرتها في الكتابة :
ألم الصحراء كخرقة متهرئة
وأعيد صياغتها
- أخط لها ثوبا جديدا
- أوزع صخورها حسب رغبتني
تحت كل صخرة أضع أمنية صغيرة
- أطلق فراشات ملونة من يدي
أشكلها كسحابات في السماء
وأنظر أن تمطر
- أرسم مدنا هادئة
ومتنزعات ملأى بالعشاق
سنوات من العمر أهدرتها في الكتابة
دون جدوى

، ...

كبرت كلماتي
تعلمت المشي والقفز فوق الحواجز
وصارت لها أنياب
بينما ألم الصحراء كوطن ضائع
وأعيد صياغته من جديد
- أمهد له طرقا واسعة تحف بها الأشجار
- أفتح في كل جدار نافذة
تمرر الشمس والهواء
- أصنع وطنا
يقودني من يدي
يدلني على الطريق

(ب)

عندما تصبح الدنيا أضيق من ثقب إبرة
فإن حجرتي هي وطني،
وحين تدهمني المدن المزدهمة
ولا أجد إلا موطننا لقدمي
فإن حدائي هو وطني،
وعندما يتعلق الأمر
بجياج الأرض والخائفين
والذين يفترشون الحصى ويلتحفون الفراغ
فإن العالم كله وطني .

الشوارع أيضا تعشق الغناء

خلف ستائر هذا المساء

تقف وردة وحيدة

تعصف بها الريح ..

يستأثر بها الخوف ،

ويغسلها المطر

،.....

نجمة مضيئة

تسقط الآن

في عتمة الليل الجريح .

طرقت بابه مرّات

ولا مجيب .. ،

كان البابُ مقفلا ،

عادت خالية الوفاض

تاركة نظراتها هناك

معلّقة على الباب.

يرفع الهواء طرف

ثوبها الفضفاض

، ويضحك ،

ينظر العاشق إلى ساقها

ويبكي .

المصابيح الخافتة

في الشارع الهادئ

تعرف وقع خطاه إذ يمرّ ..

تنتظره كل ليلة

لتسمع غناء قلبه

الشجي .

البكاء

-1

الإجابات الناعمة
تسلقت أحزانه .. ،
وعقدت جدائل شعرها
حبلا غليظا
حول رقبتة،
وعندما نفض ملاءة الجرح
تدحرج سوألا كبيرا
فسدَ عليها الطريق .

-2

هذا الأمر
لن ينتهي على خير ..
لأنني قررت بعد مجاهدة
ألا أرتكب خطيئة الحب مرة أخرى .. ،
لكن عينيك القادرتين على الذبح
تدوران حولي .. ،
فلتنحني الشفقة جانبا
يا كاننا من الرقة الخالصة
وكوني صبورة
مع قلب أفتقد الارتعاش
منذ زمن
وضربت العزلة بجذورها
في لحمه الحي
فاعذريه إذا قرر
بعد تردد

أن يتخلص من ملابسه كاملة

ليجرب الرفرفة .. ،

راقبي الآن

إنه يطير .

-3-

يخرج المد عاليا

يسحقتي .. ،

تخرج الكلمة مبتورة

مقطوعة الرأس

والبكاء

شجرة هزها الحزن

فأثمرت رجفة مكتومة

ما من شيء يميزني

سوى تلك الخضرة

التي تملأ قلبي محبة ،

ترفع عن كاهلي

إرثا ثقيلًا من الدم

وتترك مكانا صالحا

للألم.. للبكاء....،

البكاء يرتق الجروح .

صلاة

يقف على ناصية الليل ،
يسامر النجوم
عنه يكتشف ضوءا
يقوده خارج ظلمة الوجوه
التي يئن كاهل الأرض منها .. ،
لم تترك له المدينة
بكامل فتنتها
حيزا صغيرا للحلم .. ،
أغلق صمته المليء بالكلام ،
وأسدل ستائر سميقة
على نوافذ مخاوفه
ويمم وجهه بلا تردد
شطر الصحراء .

ذلك الجرح
الحاد كالشفرة
اقتلع شجرة الحنين
من ضلوعه
وأهداها كاملة
للمرأة التي قابلته
بنصف ابتسامة
في ذلك اليوم الشتائي
البعيد .

بخطوة معتادة،
وسلاح متحفز على الكتف
يخرج قلبه
في نوبته الليلية
يمشي وحيدا
على منبت الأرق
لعله يرى وجهها الحلو
وهي تחדش عتمة النافذة
داخلة إلى شهوة الحلم .

حديقة على طاولة

يدي على الطاولة
ترحف في بطء شديد
وبإصرار مستميت
نحو يدها،
يدها المضيئة،
يدها التي تخلصت من تعاسات الماضي ،
يدها التي كانت تعاشر البرودة والوحدة،
يدها التي انفرجت أصابعها وتهيات .. ،
أصابعها المرتعشة ،
أصابعها التي تعشق العناق،
أصابعها التي تحفرت لتوها
لاستقبال الحياة من جديد،
لاحتواء أصابعي
أصابعي التي خربشتها قسوة الحياة
وأحدثت فيها ندوبا عميقة ،
أصابعي التي تشبثت
بأصابعها الرقيقة،
أصابعي التي وجدت بغيتها أخيرا ،
أصابعي التي تخشى لحظات الانسحاب
ينبع منها الدفاء
في لحظات العناق
فتنزل دموعها ساخنة
من فرط شوقها

.....
الأصابع المتوحدة في نشوة
تنمو في ثناياها زهرة دافنة ،
تتفتح ، تبث العطر ،
تتشابك أوراقها
تصنع حديقة صغيرة
على مفرش الطاولة
حديقة زهور صغيرة
على هيئة قلب
تشرق شمسها القزحية ،
ترفرف في سماتها الطيور ،
يجلس في ظل أغصانها
عاشقان صغيران
بينهما طاولة ذات مفرش
مطرز بالحنين،
ترحف يده في بطء شديد

وبإصرار مستميت
نحو يدها
يدها التي ترنو في هدوء
يدها التي أسبلت جفنيها قليلا
وانفرجت أصابعها
متحفزة للعناق.

وحده في ليالي الشتاء

بينما ينضج الشاي
على خشب الموقد الطيني
تشده رائحة السنوات البعيدة
حاملة إلى جسده الهرم
سيلا من الوحشة والفقد .. ،
وحيدا كان ..
منشغلا بعصاه
التي يحث بها جمرات الموقد
يجتاحه بحر من حنين ،
يفور الشاي
بينما رعدة باردة
تتسرب في شقوق ذكرياته القديمة
ينتفض ..
يرنو إلى قرص الشمس
وهو أخذ في الأفول.

خاض حروبا كثيرة
أحرز فيها انتصارات شتى ،
مشى كطاووس في الشوارع
والناس من ورائه تهتف ،
مشى كثيرا .. ،
وفي نهاية شارع طويل
لم يجد وراءه سوى حشد من الذكريات،
أمامه كان الشتاء
بسترتة الداكنة،
يقف مسددا فوهة مدفع النسيان
إلى صدره المزدان بالأوسمة.

وحده في ليالي الشتاء ..
أحزانه تجره في الشوارع
كجرو صغير .. ،
يشنق إليها
تضمه إلى صدرها الحنون
كي يعود طفلا
لا يعرف الألم .

التمثيل

حين تتبخر الخطوات من الشوارع
وتخذ البيوت والأشجار لنوم هادئ

تنمو أمام ناظري

بنايات شاهقة موزعة بانتظام

نوافذها اللامعة

تعكس صوراً لبنايات أخرى

لا أحد في الشوارع ،

لا طيور في السماء ،

لا صوت سوى تنفس الريح في الخلاء ..

التمثال الضخم

في الميدان الواسع النظيف

هو ما أرعيني حقاً .. ،

لم يكن سوى حذاء !!

تسيل من مقدمته المثقوبة

رمال ناعمة ..

تتقدم ببطء في نهر الشارع

باتجاه فمي المفتوح ..

وعيني .

كان يقف شامخاً

في وسط الميدان

بلباسه العسكري الأنيق ،

تتدلى من عنقه

نظارة معظمة،

وتشير سبابة يمينه إلى البعيد

كأنما يشرح أمرا .. ،

هو الآن

خلف مقهى متواضع

في طرف المدينة

وجهه إلى حائط متهدم

يستخدمه رواد المقهى

مكانا للتبول .. !!

هذا التمثال

الذي يبتلع الآن أحزانه في صمت

ويبكي دون أن نرى دموعه

نحته فنان شهير

لرجل مهيب

كان يهتف له الشعب يوما :

" بالروح .. بالدم ..

نفديك !! "

هالة من الحزن

كانت تضيء عينيه

صرخ ذات صباح:

- الوقت سيد الأشياء ،

- والطغاة راحلون ..

أراد أن يبكي

فاستعصت الدموع

وارتسمت على ملامحه

حيرة موجعة

عندما تفحص المكان ولم يجد شيئا ..

فقط .. كانت الوحدة

تملاً البيت .. ،

ركل الأواني ،

حطم زجاجات فارغة ،

مزق قميصه ،

ثم تشربه الصمت

‘.....‘

في الصباح

كانت كومة من رماد الكتب

ترقد في صالة البيت

مشفوعة بورقة بيضاء

كتب عليها بخطه الدقيق :

" لا شيء لي " .

موسيقى حمراء

-1

الموسيقى التي أسمعها الآن
من أين تأتي !!
وأنا في الظلمة التي أعرفها جيدا .. ،
أستشعر طراوتها ،
تسري برودتها في مسارب النفس
والظلام بطيء الخطوة
يتمشى في الأرجاء .. ،
أتحسس الأسوار العالية الملساء ،
أدور داخلي
وكل حلقة مفرغة
تسلمني لأختها
وليس ثمة مخرج..؛
الآن أغمض عيني
أحس بنقطة الضوء
التي تلوح في البعيد
وتهتز ..،
تتناهى إلى أدنى
موسيقى خافتة
كأنها تأتي من حجرة مغلقة
في مكان بعيد .

-2

تصدح الموسيقى
متكسرة في فضاء الغرفة المعطر،
الأحمر الخافت
يضرب الحوائط بحمرته ،
يسيل على الأرضية اللامعة
وامرأة يلتف الرجال حولها ،
يحملونها على أكف النشوة ،
يقبلون قدميها .. ،
تحملهم نار متوهجة ،
نار تبدأ من الفراش
وتنتهي به !!
تلك المرأة
تقف الآن
على باب الذكريات
وحيدة تتلفت :
- قطعة سكر تحجرت
على رف تهالك

واحتله التراب ،
- مستنقع كرية الرائحة
في عمق غابة .. ،
تطرق الأبواب
كمتسول لحوح
ولا مجيب .

-3

تنسحب اللحظات الجميلة
في خوف نحو الداخل .. ،
سوف يمر وقت طويل
قبل أن أرى فرحة
ترقص عارياً
بلا خجل تحت المطر ..
هذا العالم الموسوم بالعار
يطحن النقاء بلا رحمة
يجره نحو المقبرة
ثم ..
يرتفع الشعار :
المجد للغبار

ثمة وطن للعصافير

وكان ثقب في أفق المساء

على شكل وردة

وفي منتصفها تماما

عيناك على شكل نجمتين

ترتعثان مع اهتزاز الضوء

وتذرفان لحنا شجيا

يتحوّل مع قتامة الغروب

إلى عصفورين تانهين.

وكانت شجرة عجوز

تقف وحيدة بانسة ..

نظرت في كل اتجاه

فلم تر غير الصحراء

ما من كائن هنا يؤنس وحدتها ..،

فجأة هبت ريح قاسية

وتحطمت منها بعض الأغصان

كان منظرها محزنا

وهي تنن بالأسفل

قررت الشجرة أن ترحل

فربما وجدت وطنا آخر أكثر أمنا

عندها حط على أغصانها

عصفوران تانهان

وابتداء بينيان عشهما

وهما يتحدثان عن روعة وطنهما الجديد

عندئذ نبض قلب الشجرة بقوة

وكان جذوة مشتعلة

تسري في عروقتها .

العصفور لا ينصب الفخاخ

لبنى جنسه من العصافير..

الإنسان يفعل .

كلما حظ عصفور

فوق هذا الباب

ازداد حنينه

إلى أمه الشجرة

ابتسامتك الحلوة

تزقزق مثل عصفور صغير

تنقر بأناملها الرقيقة على شفتيك

تقول : أحبك

فيتردد صداها

في فضاء قلبي الموحش .

دموع خطانا التي تسير

في اتجاهين مختلفين

أحرق العشب تحت أقدامنا

مختوم فمي

بصرخة

لم يجنّها المخاض بعد .

ستمرين الآن أمام الدار

آفة من النبع
تحملين جرة الماء
وعندما يحرك الهواء
طرف ثوبك الطويل
تشرئب أعناق النخيل في آخر الشارع..
تخونني قدماي
لا أقوى على الوقوف
أتشبث بالجدار وأوقن
أن زلزالا رانعا
سوف يضرب القرية الآن .

الأحلام المبتلة
لا تقوى على الرفرفة .

في صحراء كتك
لم ير الناس أبدا تساقط الثلج
فقط .. يحلمون به في المنام
في المدينة البعيدة
يتساقط الثلج دوما
ولا يراه الناس
ذلك لأنه يتساقط أولا
في قلوبهم .

بابتسامة عريضة أمام الكاميرا
يقف صانعو تاريخ البشرية
يقدمون وصفات سهلة للسعادة ..
لتحقيق الأحلام

العظماء الذين أرسلتهم العناية الإلهية
يطنون بأحذيتهم اللامعة
الوجوه التي تنظر لأعلى
تنظر إليهم ،

تصدق أكاذيبهم ..

تصفق .. وتبهر .

مثل كلب الأثر

أتفقد رائحتك في كل مكان

كانت لنا فيه ذكرى

رائحتك العصية على النسيان

عالقة في هواء الليل

رائحتك المفعمة بالشوق

تنحني أمام سريري كل ليلة

أدسها في رنتي

قبل أن أدخل في عراكي الأبدي

ضد الأرق .

أمارس طقسا رتبيا كل ليلة

أحمل حزن اليوم

وأضعه جانبي على الفراش

أتوسد حلمي القديم وأنام

في كل ليلة يولد حزنا جديدا

،

هكذا تتكاثر الأحزان

بينما يشيخ الحلم .

سنوات الثلج

في الليل ..
تأخذني نظراتك للداخل،
تربت على كتفي
وتضعني في سريري ..
سريري الذي لا زال يحتفظ بحرارة جسدي
ونقاء أحلامي
سريري هناك دافئ
رغم سنوات الثلج التي حالت بيننا ..،
الريح القالعة سكبت دواة الحزن من يدي ،
أحدثت في رأسي فجوة
بحجم الحب الضائع
وانهمرت منها الذكريات الحميمة
كمطر يغسل أوراق الخريف
دونك أنا شجرة عارية
في صحراء مروية بالعطش،
نخلة عجوز
تقف في وجه العواصف
دونما أمل في النجاة ..
كلما احتدم العناق بيننا
علقت نباتات الوحشة
في طرف ثوبك الأبيض ..
الآن تجذبك الأشواك للخلف
تدمي قدميك الناعمتين
وتدفعني نحو الهاوية ..
كلما حاولت ضمك بين ذراعي
تسرّبت مثل طيف ،
مثل قبلة في حلم
تاركة مكانك في القلب باردا
دواة الحزن التي انسكبت
رسمت حدودا منهكة
تحمل بين ضلوعها إرثا ثقيلًا
من الخوف والتشتت
وتنزّ دما ساخنا
.....
أنا في البلاد الغريبة
جسدي في الثلج
وقلبي يفتersh ظل سرورة سامقة
في بلادي .

الطريق

(1)

روحي شاردة .. ،
والأحزان تحملني
من رصيف إلى رصيف
عيناى تحديقان فى اللاشىء
عم أبحث ؟؟
والنجوم لا تمنح الخبز للجىاع
والأشجار لا تتحرك
إلا إذا حركتها الريح .

(2)

الجمل العجوز
لا ينتعل الأحذية .. ،
يسير حافيا
على حصى الصحراء
تلسعه سياط القىظ ،
يؤلمه وخز الأشواك ،
يئن من حملة الثقيل
لكنه يسير ..
فأمله الوحيد
أن الطريق حتما ستنهى
ليستريح .

(3)

فجأة ..
بقدمين عاجزتين ،
ورأس منكسة غزاها الشيب
ولسان يرقد كجثة باردة
بين شفتين جافتين
أدخل عامى الأربعين ..
تسألنى دمعة فرت لتوها:
- ما الذى تحقق من الأحلام !!

(4)

للأقدام فعلا ذاكرة
إنها تشعر بالحنين
فقط للشوارع التى لفظتها .

(5)

كلما تقدمت خطوة فى الشارع الكنىب
شدتنى ظلمته للخلف .. ،
أحلامي البعيدة
التى غرستها بيدي على الأرصفة

جفت عروقها .. ،
الآن
تجذبني ببديها القويتين
وأنا مقيد الساقين !!

(6)

نظف يديك الآن جيدا
فالحياة في مدن الصمت
ضياح دائم ،
وعلبة حريرية زاخرة باللاشيء ..
هل طاوعك الصلصال
كي تشكل رغباتك الفائتة
في صورة حبيباتك الغائبات ؟
كلهن هجرتك في منتصف الطريق
ورائحة صلصالك مازالت في يديك ..
توضأ الآن
ويمم وجهك شطر الصحراء .

(7)

في مدن الرماد
لا يابه الطريق بالغرباء
يذر الغبار في عيونهم ،
يمنحهم آهات مكبوتة ،
وبكاء بلا دمع
يشعل أعواد ثقابه
في أعشاب قلوبهم
ويتركهم ينزفون شوقا
لأصابع حانية
ربتت على ظهورهم ذات يوم
في زمان بعيد .

(8)

حين تتحطم قدمي
وأحتاج سلما
أصعد به فوق كبوتي
امنحيني يدك
لا تخافي
لن يسقط العالم فوق رأسي
معك .. أنا جذوة مشتعلة
وحلم يمشي على قدمين .

اللص الذي سرق الأيام

بقامتها المديدة .. ،
بخطوتها الواثقة .. ،
بتفاصيل جسدها الأثوي .. ،
بزخم عطرها العتيق
تأخذني الواحة في دروبها ..
ارفعيني بين يديك يا حبيبتني
ربما أصل إلى مدار العاشقين .

الحرائق التي اشتعلت تحت جلدي
ثم خبت نارها
أججها الحنين إليك مرة أخرى ..
عينك الآن ذكرى ،
لكنها تمنحني قوسا قزحيا
كلما ألفت الأيام تجهمها في طريقي ..
المجد لعينيك وحدهما
يا قمر الصحراء .

كل الحروب التي خضتها
خسرتها
كل المباديء التي آمنتُ بها
اقتلعت مني مفاتيح الطرق المعبدة
وقذفتني خارج الأسوار
وجسر الفرح الوحيد الذي شيدته
حجرا .. حجرا
قادني في النهاية نحو حتفي .

اللص الذي سرق حقولا شاسعة
كنت أهرّبها كل صباح
مع هبة النسيم لتحرس أبوابها ،
اللص الذي سرق الأيام مني
وغاب أربعين عاما كاملة
ظهر اليوم في سحابة رمادية
قبل الغروب
ليخبرني
أنه كان يختبئ داخلي .

أدخليني في عرسك الأبدى

للألم أن يتبخر تماما
في الثالث من مايو ،
لوريقات الفرحة القليلة
المتناثرة على أغصان شجرة العمر
أن تكبر ،
تخضر ،
وتزهو .. ،

حديقة الورد التي أعتني بها
منذ عامين فقط
والتي أهديتني إياها
اشتعلت دماؤها
في الثالث من مايو
نعم .. رأيته تشتعل ،
تسيل ،

تندس في أوردة العشاق
مكونة بحيرات من الدفء
تلهو حولها طيور الحمام الجبلي
حديقة الورد

التي أهديتني إياها
منذ عامين فقط
تبت عبيرا فواحا
يضمخ القلوب المتعبة
متعب أنا يا حبيبتي
منذ تسع وثلاثين عاما
أركض كجواد كهل
ترغمه الأيام على الركض
والطريق الطويل
عامر بالشوك
والمضمار لا ينتهي

.....
للحزن أن ينزوي
فقط .. من أجل عينيها
التي فرحت بي .

أمام قبرها

-1

في شارع الحياة الطويل أنا ..

بلا قدمين

هكذا إلى آخر الرحلة ..

قدماي أكلتهما الصخور الناتئة ،

والسنين الطويلة التي مرّت

لم تقدني إلى وطن ..

الحياة كشرع مهتريء ،

تخترقه الريح من كل الجهات

وتاريخي الذي لم يعد له تاريخ

ينزف في البحر .

-2

في شارع الحياة الطويل أنا ..

لم أستطع أن أقبض على لحظة واحدة

من السعادة ،

لكنني استطعت ببراعة صياد

أن أجمع في جعبتي كل الحفر

استهلكتنني الفخاخ المنصوبة

على أرصفة الشوارع

ودفعتني صرخات الألم

إلى مجرور النفايات.

-3

المرأة الضخمة في الشارع

تعرف حركتي جيدا ..

ترصدني

فكلما تقدمت خطوة للأمام

يدفعني شبيهي في المرأة للخلف

لأبدأ من جديد.

-4

امتصتني الحياة

في إسفنجة ضخمة ..

غيبتنني بين مسامها

الظلمة حولي ، بين يدي ،

في مسارات دمي ..

أحلم بالصغار يلعبون

في مساحات شاسعة خضراء

تحت سماء لا تعرف القنابل

ولم تسمع عن الصواريخ ،

أحلم .. وأكتفي بالحلم.

-5

أمام قبرها جلست
تجولت كثيرا في طفولتي الزاهية
قضمت قزمة كبيرة من فطيرتي
المحشوة بالزبد والسكر ،
عدوت حافيا في الشارع بين أقراني
أناطح النجوم ...
بعد كل هذه السنوات
أنا بلا طفولة ،
بلا فطيرة محشوة بالزبد ،
بلا أقران ..
وحدي الآن أمام قبرها
واضعا وجهي بين كفي ،
تجلدني الأيام بسياطها ..
أين نظراتك يا حبيبتي
كي تحملي ،
وتضعني في سريري لأنام ؟

-6

سأكف بعد هذه الليلة
عن الكتابة ،
فنزيف الدم يكتب مرثية
تكفي لأن تسور الكرة الأرضية
بسور عال من الخزي والعار
حتما سأكف عن الكتابة ..
سأكتفي بجمع نثار الأنين
وشظايا صرخات الألم
لأصنع منها ملجأ أمنا
لكل المغدورين على وجه الأرض ..
ملجأ كبير
له باب واحد
لا يفضي إلى تاريخ مضى .
.....،

يبدو أنني نمت لألف عام،
لم يعد الشارع الطويل كما أفتته .. ،
على المحال الغريبة
عُلفت لافتات غريبة
والناس الغرباء يملأون الشارع ،
ينظرون لي نظرات غريبة
في هذا الشارع
عُلفت سنوات عمري

على مشجب صدئ
وحطمت الريح العاتية
صناديق الذكريات
في الشارع الذي كنت أعرفه جيدا
رأيتني غريبا .. وحيدا
حاولت أن أستغيث
فوجدتني بلا لسان
-7

يسقط الليل مثل كذبة كبيرة
فيبتهج أناس كادحون ،
يسيرون على خطوط مرسومة بدقة
إلى بيوتهم
تاركين لعيونهم
حرية التجول في الأركان ،
في الأبناء ، في أجساد زوجاتهم ،
في أجساد العاهرات
على شاشات التلفاز ،
وجوه بلا أدنى تعابير للفرح
تبخرت فجأة لديهم
حصيلة اليوم من القهر والكبت والعنت
وحصاد الرؤوس .
-8

من خلف النافذة
ينظر بعينين ناعستين
إلى قرص الشمس
الذي ينعكس شعاعه الذهبي على جفنيه ،
تتضح دروب الصحراء ،
يخرج وراء أغنامه
مرتجلا في كل صباح أغنية جديدة
تقوده إلى المرعى ..
المرعى عالمه الوحيد
الذي لا يعرف سواه
وأغنامه القليلة
هي أول الطريق ..
وأخره
-9

العجوز التي يقتلها الجوع
تلم فتات الخبز من الأركان ،
تنظر إلى القمر المكتمل في كبد السماء
تقول :

كم أنت جميل أيها القمر
يا من تشبهه رغيف الخبز .

-10

في زمن ما
كان الناس على الأرض
يحلّمون بأشياء جميلة .. ،
كانت هناك زهور ،
وموسيقى هادئة
تسري في أوردة الشوارع
وأشجار تثمر ابتسامات عذبة
وحنان ..

الآن .. تمر كل ساعة آلاف الجنائز
التي تحمل آلاف التوابيت
الملفوفة بالأحزان ..
شارع الحياة البارد
مليء بالحفر
ولا يفضي إلا إلى المقابر ،
والأحلام سراب .

-11

ظلمة كثيفة
أطبقت فجأة على النهار
رشقته بأسلحة
من خوف
ونصبت له فخاخا
من ظمأ ..
تشققت الأرض
وابتلعت نخيلها ..
النهار مقيد اليدين ،
مكمم الفم لا يقدر على الصراخ ..
أمشي على غير هدى
أحلم أن تقودني خطاي
إلى قبري بسلام .

-12

قلبي الذي علكته المواجه
يتكئ على وسادة وحدته
ينسج من آلامه خيوطا
فربما استطاع
أن يرتق جرح هذه القلوب
التي طعننها الخديعة في الصميم
ينظر ساهما

إلى الطريق الذي يفضي بأحلامه
إلى نهاية الأرض،
والأرض مصلوبة
على حرف جرف هار ..
هل حقا ستأتي
أيها الصباح الذي لا يجيء ؟

-13-

في خفة هلامية
ينشر طوفان الجوع جناحيه .. ،
تسري الرطوبة في أوصالنا
إلى درجة التشبع
نسكّر .. نترنح ..
نتقيأ صمتا كريح الراححة ..
هكذا يحفز النسيان
ذاكرته الرمادية
ليكشف عن غروب جديد
لتاريخ الإنسانية المعطر!!
تُرى ..
ما الذي يذكرني الآن بغرناطة
في فراش مرضها الأخير ؟

امراة الندى

حين أهتف باسمك ..
تهجر العصافير أعشاشها
لتعشش بين ضلوعي ،
يتسع صدري
ليحتوي هواء العالم ،
يتفجر من لساني
نبع من رحيق ،
يشع الضوء من حنجرتي
ليغسل الأطفال العراة في الشوارع ..
اسمك مدقوق كالوشم في دمي ..
صباح الخير يا حبيبي
صدمني قطار الفرحة وانتهى الأمر
إذ خرجت علي متسحة بالندى
غدوتُ كنبئة
تري شمس الحياة للمرة الأولى ..
أنا الذي أدمنت الحزن
حشوت به تبغي ودخنته بشراهة ،
خبأته تحت جلدي
لأنني خفت عليه من نظرة شاردة.. !!
اقتلعتني عيناك من جذوري
وانفرطت أحزاني
كمسبحة جدي العتيقة
لم أعد وحيدا ..
أمشي في طريق يحترق شوقا
لاحتواء خطواتك
التي يحملها الندى على كتفيه
'

حين تمرين
تنبت العيون على الأرصفة ،
تطرح أفئدة تخفق
وشفاها تتأوه.. ،
يحتضن الشارع الخالي خطواتك ،
خطواتك التي تمشي في إثرها
كل حقول الحنطة
الآن عرفتُ
لماذا تتحلق حولك أسراب الحمام
حين تمرين من هنا 0

غبار

حين هممت بالخروج
من حجرتي التي لزمتهما لأيام
انفتح الباب
على مساحةٍ شاسعةٍ من الليل ،
انفصل ظلّي عني ،
تكور مرتعدا مثل جنين
تحت سريري ..

ثياب الليل
مبلة دائما بالأحزان ،
بالحنين إلى لحظة ما تحللت
وأصبحت غبارا ..
ثياب الليل تنسل من أطرافها
ذكريات غائرة كجرح ،
أمشي لصق الحوائط الباردة
كأعمى يلتمس الجدران .. !!

.....
ثياب الليل
تكنس فتات الحب من الشوارع
وبقايا تنهدات العشاق ،
تجمعها في كيس أسود كبير
وتسلمها يد بيد
إلى صندوق القمامة في الصباح .

قابلتها في مكان ما ..
لا أذكر الآن أين ؟
قلنا كلاما كثيرا
عن العناق الذي لا ينتهي ،
والقبلة التي يظل طعمها ساريا في الحلق لأعوام ،
والحب إذ يدخل القلب فجأة ..
مثل طلقة غادرة
لم أسألها عن اسمها
ولم تسألني أيضا
جمعتنا الغربة ..
والخوف ..

والوحدة
في زحام المدن الغريبة
لا أدري كيف شق نهر نغرها العذب
صحراء ضلوعي

التي غيض ماؤها من سنين
كان صهيلها في الليل
كمحيط هادر
يعبث بزورقي المتعب
قالت: أحبك
ثم اختفت (...)
تاركة مكانها في القلب
مثل حفرة عميقة
لنيزك سقط من السماء ؛
آه .. اختفت للأبد ..
تلك المرأة
التي لا أعرف للآن
ما اسمها !!

(نحن الشعراء)

الشعراء

يؤمنون بالجوع والفقير
لكنهم لا يؤمنون بالخوف والقهر..
أنقياء .. مثل مسبحة في الأصابع ..
وصادقون.. مثل رعدة تضيء .. ،
مثل قبلة دافئة في ليالي الشتاء ،
مثل شهقة تغطس في نبع من محبة
لماذا يا إلهي جعلتنا شعراء

وحيدين

كشمعة في ظلام الأرض
والأرض.. لا يثمر شجرها
إلا بطونا جائعة
وعيوننا لا تعرف سوى الحزن
وقبورنا بلا شواهد

الوحدة التي اشتد عودها
استطالت وعرشت على الأركان ..
الوحدة التي مدت جذورها في لحمي الحي ،
الوحدة التي تنفتت اليأس ،
وتنهك القوى ،
لا تعجبني الطريقة التي تراوغي بها ..
سأفاجئها في طريق جانبي
وأدق عنقها .

كانوا هنا منذ زمن
يحفرون جروحا عميقة ،
ويرقصون في صخب
كلما أزهروا في نفوسهم أمل خفي
رغم أنف الليالي
التي تغضنت ملامحها ،
وأحدثت في صدورهم ثقبوا
تمر عبرها الريح ،
فتحدث أننا موجعا..
كانوا يصنعون
طريقتهم في الحياة .. ،
أحلامهم التي شربت موسيقى الكون
أجهضت قبل أوانها
تاركة بقعا سوداء على الحوائط.

الفهرس

| الصفحة | القصيدة |
|--------|----------------------------------|
| 3 | 1- تنفتح الأبواب..... |
| 10 | 2- ألم خفيف..... |
| 14 | 3- الشوارع أيضا تعشق الغناء..... |
| 16 | 4- البكاء..... |
| 18 | 5- صلاة..... |
| 19 | 6- حديقة على طاولة..... |
| 21 | 7- وحده في ليالي الشتاء..... |
| 22 | 8- التماثيل..... |
| 25 | 9- موسيقى حمراء..... |
| 27 | 10- ثمة وطن للعصافير..... |
| 31 | 11- سنوات الثلج..... |
| 32 | 12- الطريق..... |
| 34 | 13- اللص الذي سرق الأيام..... |
| 35 | 14- أدخليني في عرسك الأبدي..... |
| 36 | 15- أمام قبرها..... |
| 41 | 16- امرأة الندى..... |
| 42 | 17- غبار..... |
| 44 | 18- نحن الشعراء..... |